لن أخفي شيئاً عن أمّي

تأليف: زنجبيل علوه
رسم: دينا خليفة

جَميلٌ طِفْلٌ في السّادِسَةِ مِنْ عُمْرِهِ، يَعيشُ مَعَ أُمِّهِ في مَنْزِلٍ صَغيرٍ.
يَلْعَبُ جَميلٌ كُلَّ يَوْمٍ في حَديقَةِ المَنْزِلِ المَليئَةِ بِالزُّهورِ، مَعَ أُمِّهِ
وَالهِرَّةِ وَرْدَةَ.

في لَيْلَةٍ مِنْ لَيالي الرَّبيعِ حَيْثُ كانَ القَمَرُ يُضيءُ الحَديقَةَ أَجْلَسَتِ الأُمُّ طِفْلَها جميلًا في حِضْنِها، وَقالَتْ: «ما رَأْيُكَ أَنْ نَتَشارَكَ في سِرٍّ صَغيرٍ؟».

فَرِحَ جَميلٌ وَقالَ: «ما هُوَ؟».

قالَتِ الأُمُّ: «ما رَأْيُكَ أَنْ نُحَدِّدَ تِلْكَ النَّجْمَةَ الذَّهَبِيَّةَ في السَّماءِ لِنُخْبِرَها عَمّا يُفْرِحُنا وَما يُزْعِجُنا؟ وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ لا نُخْبِرَ أَحَدًا عَن تِلْكَ النَّجْمَةِ، إِنَّهُ سِرُّنا الصَّغيرُ، أنا وَأَنْتَ فَقَطْ».

وَضَعَتِ الأُمُّ يَدَها بِيَدِ جَميلٍ وَاتَّفَقا عَلى ذَلِكَ.

بَعْدَ أَيّامِ التَقى جَميلٌ أَحَدَ الصِّبْيَةِ في المَدْرَسَةِ وَكانَ أَكْبرَ مِنْهُ سِنًّا، كانَ في التّاسِعَةِ مِنَ العُمْرِ، وقالَ لَهُ الصَّبِيُّ: «ما رَأْيُكَ بِأَنْ يَكونَ لَنا سِرٌّ صَغيرٌ أنا وَأَنْتَ فَقَطْ؟».

فَرِحَ جَميلٌ سَيُصْبِحُ لَدَيْهِ سِرّانِ، واحِدٌ مَعَ أُمِّهِ وَواحِدٌ مَعَ الصَّبِيِّ.

سَأَلَ جَميلٌ: «ما هُوَ السِّرُّ؟».

قالَ الصَّبِيُّ: «ما رَأْيُكَ أَنْ نُدَخِّنَ سيجارَةً كَما يَفْعَلُ الكِبارُ في حَديقَةِ المَدْرَسَةِ؟».

قالَ جَميلٌ: «ما هَذا السِّرُّ، إِنَّهُ سَيِّئٌ».

قالَ الصَّبِيُّ: «لا، سَتُصْبِحُ كَالكِبارِ».

وافَقَ جَميلٌ بَعْدَ تَرَدُّدٍ، فَهُوَ يَسْمَعُ دائِمًا أَنَّ التَّدْخينَ مُضِرٌّ لِلْكِبارِ وَالصِّغارِ، وَخَرَجَ مِنَ الصَّفِّ إلى الحَديقَةِ، وَاخْتَبَأَ مَعَ الصَّبِيِّ خَلْفَ الأَشْجارِ. حَمَلَ الصَّبيُّ سيجارَةً وَأَشْعَلَها وَأَعْطاها لِجميلٍ فَحَرَقَ إِصْبَعَهُ وَبَدَأَ يَتَأَلَّمُ.

عِنْدَما عادَ جَميلٌ إلى المَنْزِلِ كانَ إِصْبَعُهُ ما زالَ يُؤْلِمُهُ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلى قِطْعَةِ ثَلْجٍ لِيُبَرِّدَها. لاحَظَتِ الأُمُّ تَصَرُّفاتِ جَميلٍ الغَريبَةَ، فَسَأَلَتْهُ: «ما بِكَ يا صَغيري؟».

قالَ جَميلٌ: «لَقَدْ حَرَقْتُ إِصْبَعي».

أَسْرَعَتِ الأُمُّ ونَظَرَتْ إلى إِصْبَعِ جَميلٍ فَوَجَدَتْهُ أَحْمَرَ اللَّوْنِ. وَضَعَتْ عَلَيْهِ الدَّواءَ، وَسَأَلَتْهُ ما الَّذي حَصَلَ يا جَميلُ؟

قالَ جَميلٌ: «لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُخْبِرَكِ يا أُمّي، إِنَّهُ سِرٌّ مَعَ أَحَدِ الصَّبْيَةِ في المَدْرَسَةِ».

قالَتِ الأُمُّ: «عِنْدَما نَكونُ صِغارًا لا نَحْتَفِظُ بِسِرٍّ إلّا مَعَ ماما أَوْ بابا فَقَطْ يا صَغيري».

سَأَلَ جَميلٌ: «لِماذا؟».

أَجابَتِ الأُمُّ: «لِأَنَّ بَعْضَ النّاسِ قَدْ يُؤْذونَكَ بِسِرِّهِمْ، أَنْتَ ما زِلْتَ طِفْلًا صَغيرًا يا جَميلُ قَدْ لا تَعْرِفُ إنْ كانَ هَذا السِّرُّ سَيُساعِدُك أَوْ يَضُرُّكَ».

قالَ جَميلٌ: «السِّرُّ هُوَ أَنْ نُدَخِّنَ السّيجارَةَ في الحَديقَةِ بَعيدًا عَنِ الطُّلّابِ، وَأَنْ لا يَرانا أَحَدٌ. وَسِرُّ الغَدِ هُوَ أَنْ نَخْرُجَ مِنَ المَدْرَسَةِ قَبْلَ انْتِهاءِ الدَّوامِ لِنَتَمَشّى في السّوقِ».

قالَتِ الأُمُّ: «لا يا جَميلُ هذا سِرٌّ مُضِرٌّ وَمُؤْذٍ.

ما رَأْيُكَ أَنْ نُساعِدَ هَذا الصَّبِيَّ بِسِرٍّ جَديدٍ نَتَّفِقُ عَلَيْه سَوِيًّا؟».

فَرِحَ جَميلٌ وَسَألَ: «ما هُوَ؟».

أجابَتِ الأُمُّ: «أَنْ نُخْبِرَ إدارَةَ المَدْرَسَةِ عَنْ تَصَرُّفاتِ هَذا الصَّبِيِّ كَيْ تُساعِدَهُ فَلَرُبَّما حَرَقَ نَفْسَهُ بِالسِّيجارَةِ أَوْ ضاعَ وَتَعَرَّضَ لِحادِثٍ عِنْدَ خُروجِهِ مِنَ المَدْرَسَةِ قَبْلَ الدَّوامِ».

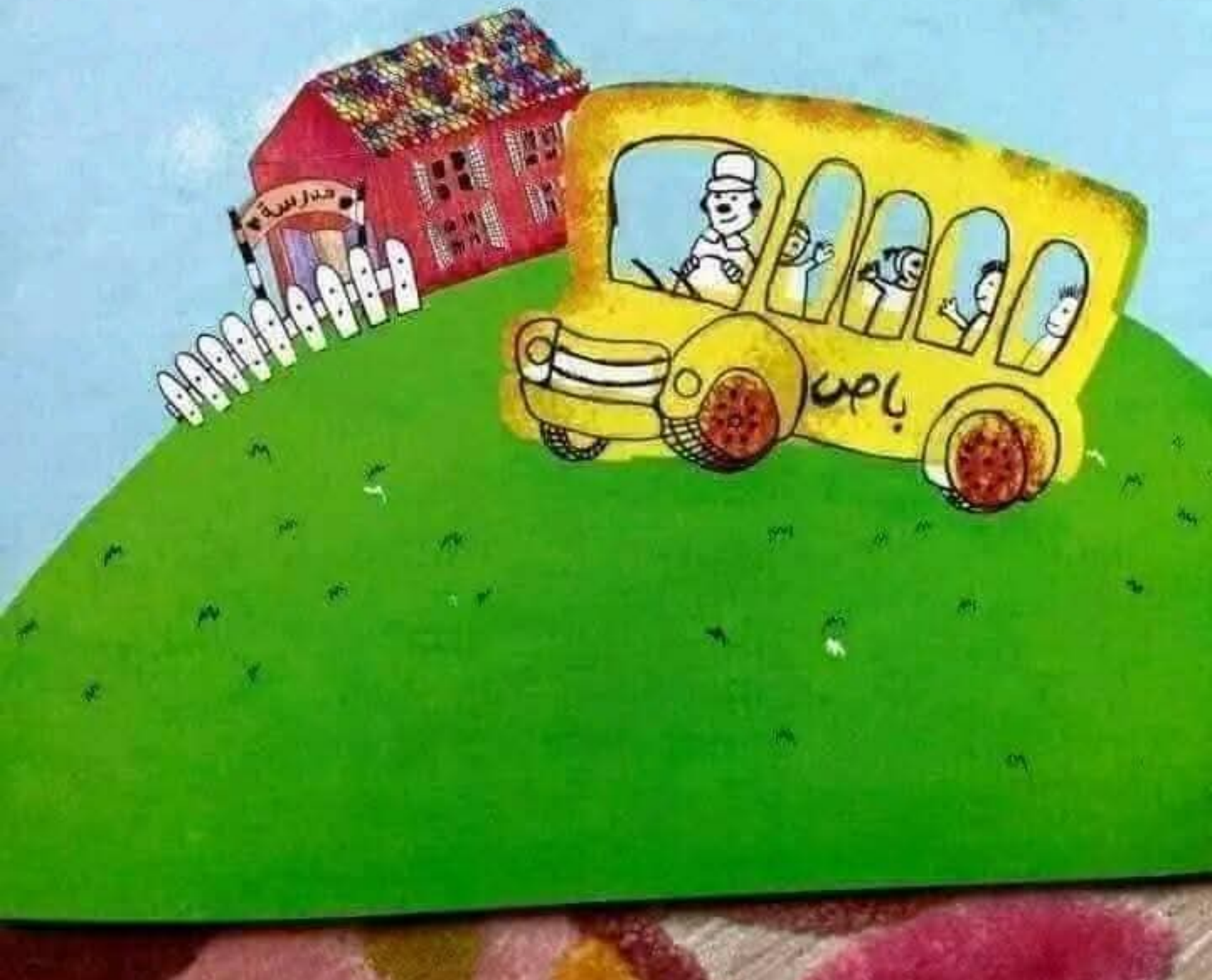

أَرسلَتِ المَدْرَسَةُ بِطَلَبِ أَهْلِ الصَّبِيِّ وَطَلَبَتْ مِنْهم الاهْتِمام بِأَبْنِهِمْ أَكْثَرَ، وَطَلَبَتْ مِنَ المُعَلِّمات وَالمُشْرِفاتِ الاهْتِمامَ بِهِ وَمُراقَبَتَهُ جَيِّدًا في المَدْرَسَةِ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْ سُلوكِهِ السَّيِّئ.

عادَ جَميلٌ في ذَلِكَ اليَوْمِ إلى المَنْزِلِ مَسْرورًا لِأَنَّهُ أَنْقَذَ الصَّبِيَّ، وَوَعَدَ أُمَّهُ أَنْ لا يَكونَ لَهُ سِرٌّ إلّا مَعَها، حَتَّى يَكْبَرَ وَيُصْبِحَ رَجُلًا.

بَعْدَ أَيّامٍ سَمِعَتِ الأُمُّ صَوْتًا قُرْبَ النّافِذَةِ. أَطَلَّتْ بِرَأْسِها فَرَأَتْ جَميلًا يَجْلِسُ عَلى كُرْسِيِّهِ الخَشَبِيِّ وَقُرْبَهُ الهِرَّةُ وَرْدَةُ وَهُوَ يُخْبِرُ النَّجْمَةَ الذَّهَبِيَّةَ عَنْ مُساعَدَتِهِ لِصَبِيٍّ في المَدْرَسَةِ.

اِبْتَسَمَتِ الأُمُّ وَلَرُبَّما فَكَّرَتْ أَنَّها لَنْ تَخافَ عَلى اِبْنِها بَعْدَ اليَوْمِ، لَقَدْ أَصْبَحَ قادِرًا عَلى التَّفْريقِ بَيْنَ الجَيِّدِ وَالسَّيِّئِ.